

ذاك هو مشهد القداسة الإلهية، وهو حصيلة تزواج المشاهد الثلاثة السابقة من طبيعة وحبّ وفنّ، فكان قائما على التعالي والسّموّ نحو اللّامتناهي، فيه ينشد المطلق، وبه يستعظم الجلل بعد أن تحكّم اللفظ الملهم المولّد في مسيرة النّفس الشعريّ على مدى الأبيات السّبعة بلا تراوح أو استبقاء: تضاعف بازدواج ومرافقة (أنت... أنت الحياة) مرّات أربعا، ثم تفرّد بالظّالع ولم يزدوج .

فكأنّما صيغ هذا المشهد بما حوّله انفجارا للملفوظ الشعريّ، حرّكه امتلاء كامتلاء الخمرة الصّوفية، وعلاه ملمح كملح الحضرة السّنية، ولست بممتنع - إذا ما راودت القراءة بوعي أو بدون وعي - أن تتذكّر بعضا من قصائد ابن هانيء، وبعضا من مطوّلات شوقي، وربّما حضرتك مقاطع من ملاحم المتنبيّ: المشهد متناظر، والصّوغ يحاكي بعضه بعضا، وبين الجميع سلك يربط مقول الشعر بمبشوث النّفس، وجسر الالتحام القبض على صيغة لفظيّة تكون بمثابة نقطة الارتكاز في المعاودة والتّرداد .

ونخذ لنفسك برهة وعاود بالقراءة والتّرتيل مشهد أبي القاسم الشّابيّ من قصيدتنا !

أفلمست واجدا ما يجده كلُّ متناغم باللّغة من وجدٍ؟
ذاك هو ذروة الإفضاء الشعريّ: خلق اللّغة بعد كسرها، وإبداع الصّورة بعد نشر أطرافها، وقد تهيأ بفعل ذلك أن يتسامى الشّاعر بالضمير الرّامز (أنت) إلى منازل القداسة تجريدا وحياسة .